تجليات الاعجاز القرءاني في المباحث النحوية البلاغية عند الفراء.

The manifestatrcens of the koranic miraculoasness in grammatical and rhetorical studies among al feraa

ط د محمد سليماني،*1، د عمر عروي2

1 جامعة باتنة 1، (الجزائر)، mohammed.slimani@unv-batna.dz

2 جامعة باتنة 1،(الجزائر)، amar.aroui@univ-batna.dz

مخبر العلوم الإسلامية في الجزائر: تاريخها ، مصادرها و أعلامها

تاريخ الإيداع: 2025/07/09 **تاريخ المراجعة**: 2025/08/17 **تاريخ النشر**: 2025/10/01

الملخص: من المواضيع التي اهتم بها علماء اللغة وأئمتها شرحا ودراسة وتأليفا وتصنيفا موضوع الإعجاز القرءاني ، وسر هذا الاهتمام لكونة متعلق بكتاب الله عز وجل أولا، ولأن القرءان الكريم يعد معين ثر وركن ركين لأسس علوم اللغة وآدابها، وان من المباحث الأساسية التي اعتنى بها الدارسون في هذا المجال تجليات الإعجاز القرءاني ومظاهره في المباحث النحوية والبلاغية ،وفي هذه المقال سأحاول تسليط الضوء على بعض القضايا و المظاهر الإعجازية على مستوى النحو والبلاغة مع ذكر بعض النماذج والأمثلة الواردة عند الفراء ت 207هـ رحمه الله في كتابه معاني القرآن.

الكلمات المفتاحية: القرءان، الإعجاز، النحو، البلاغة.

The outline of the survey Throughout history ,linguists took intce consideratia the inpartan ce of studing the kuranic miraculousness ,that consideration was due ta its strong link with the holly book(kuran) at first and that kuran is the source of all bases of the Arabic language and it arts as well .

In this study, D will try to lighlight on some issues and miraculous examples up to grammar and vhetorics, mentioning some samples and examples that wore conducted by alferraa on 207 h,may allah hove mercy on him, in his book " the meaning of the kuran".

Key words: Quran, Miracle, Grammar, rhetorical.

* المؤلف المراسل.

تقديم :

ما من رسول يرسل إلى قوم إلا بمعجزة من جنس ما برعوا فيه؛ ليثبت لهم أنه يختلف عنهم، وأنه مرسل من قِبَل ربه -سبحانه وتعالى.

فعندما ظن سحرة فرعون أنهم بلغوا في هذا الفن منتهاه جاء موسى -عليه السلام- ليُبطله بعصاه، وعندما برع بعد ذلك بنو إسرائيل في الطب جاءهم عيسى -عليه السلام- بما يَعجز الأطباء عنه، فما من طبيب يستطيع أن يُحيي الموتى، فجاء عيسى -عليه السلام- بمعجزة إحياء الموتى، وكذلك الأمراض التي لا علاج لها كالعمى والبرص جاءهم عيسى -عليه السلام- ليبرئ الأكمه والأبرص، فكانت هذه المعجزات الحسية دليلًا على صدق نبوتهم عليهم السلام وعلى أنهم مرسلون من قبل الله -سبحانه وتعالى- كذلك معجزة النبي -ﷺ- مع العرب، لما ارتقى العرب ذروة الفصاحة والبيان جاءهم القرآن؛ ليعلمهم أن لا قول ولا كلام ولا شيء مما برعوا فيه من فنون الأدب -شعرها ونثرها وسجعها وغيرها من الأرجاز والمسجوع والفنون التي برع فيها العرب أيما براعة- أن كل ذلك لا يضاهي القرآن ولا يشابه القرآن في شيء وأن القرآن نسق يختلف عما يتداولونه في كلامهم وفي آدابهم التي بلغوا فيها القمة ووصلوا إلى أعلى درجاتها.[1]

ولهذ تضافرت جهود أئمة اللغة لبيان حقيقة الإعجاز القرءاني والوقوف على مكامن الإعجاز فيه وتوضيح وجوهه التي عجز العرب البلغاء الفصحاء عن الأتيان بها ، وكانت دراساتهم تشمل جميع مستويات الدرس اللغوي حديثا وقديما فبينو وجوه الإعجاز صوتيا ونحويا وصرفيا وبلاغيا ، وممن كان له النصيب الأوفر من هذا الدرس الإمام أبي زكرياء يحي بن زياد الفراء ت 207ه وهذا ما نود الوقوف عليه في هذا المقال لنبين شيئا من تجليات الإعجاز القرءاني نحويا و بلاغيا عنده بدراسة بعض النماذج الموضحة لذلك.

وعليه سيكون المقال من أربعة عناصر وخاتمة على النحو التالي :

أولا: التعريف بالإعجاز القرءاني وذكر شيئ من تاريخه.

ثانيا: تجليات الإعجاز القرءاني ومظاهره في المباحث النحوية.

ثالثا: تجليات الإعجاز القرءاني ومظاهره في المباحث البلاغية .

رابعا: نماذج من تجليات الإعجاز القرءاني ومظاهره في المباحث النحوية و البلاغية عند الفراء.

خاتمة .

أولا : التعريف بالإعجاز القرءاني وذكر شيئ من تاريخه.

أ- الإعجاز المفهوم والتأصيل:

- تعريفه لغة واصطلاحا:

الإعجاز لغة: قال الرازي(666ه) في مادة عجز أن :" ع ج ز: (الْعَجُزُ) بِضَمِّ الْجِيمِ مُؤَخَّرُ الشَّيْءِ يُذَكَّرُ وَيُؤَنَّثُ ... وَ (الْعَجْزُ) الضَّعْفُ وَبَابُهُ ضَرَبَ وَ (مَعْجَزًا) بِفَتْحِ الْجِيمِ وَكَسْرِهَا وَ (مَعْجَزَةً) بِفَتْحِ الْجِيمِ وَكَسْرِهَا. وَفِي الْحَدِيثِ: «لَا تُلِثُّوا بِدَارِ مَعْجَزَةٍ» أَيْ لَا تُقِيمُوا بِبَلْدَةٍ تَعْجِزُونَ فِيهَا عَنِ الِاكْتِسَابِ وَالتَّعَيُّشِ ... وَ (أَعْجَزَهُ) الشَّيْءُ ،فَاتَهُ... وَ (الْمُعْجِزَةُ) وَاحِدُ مُعْجِزَاتِ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.[2]

وقال ابن فارس (المتوفى: 395ه) في مقاييس اللغة :(عَجَزَ) الْعَيْنُ وَالْجِيمُ وَالزَّاءُ أَصْلَانِ صَحِيحَانِ، يَدُلُّ أَحَدُهُمَا عَلَى الضَّعْفِ، وَالْآخَرُ عَلَى مُؤَخَّرِ الشَّيْءِ.

فَالْأَوَّلُ عَجِزَ عَنِ الشَّيْءِ يَعْجِزُ عَجْزًا، فَهُوَ عَاجِزٌ أَيْ ضَعِيفٌ... وَأَمَّا الْأَصْلُ الْآخَرُ فَالْعَجُزُ: مُؤَخَّرُ الشَّيْءِ، وَالْجَمْعُ أَعْجَازٌ.[3]

وكلا الأمرين حاصل وصحيح ، إذ إن العرب لما تُحُدُّوا إلى معارضة القرآن، إما كاعوا وجبنوا، فبان ضعفهم، أو أنهم طلبوا ذلك وحاولوه، فأعياهم وفاتهم فصاروا بمنزلة المتأخرين عنه.[4]

اصطلاحا: اختلفت عبارات العلماء في ضبط مصطلح (الإعجاز):

- فيعرّفه المناويّ(ت:1031ه) بقوله:" الإعجاز في الكلام، تأديته بطريق أبلغ من كلّ ما عداه من الطُّرُق"[5].
- وعرّفه الكفويّ (ت:1094ه) بقوله:" وإعجاز الْقُرْآن: ارتقاؤه فِي البلاغة إِلَى أَن يخرج عَن طوق الْبشر ويعجزهم عَن معارضته على مَا هُوَ الرَّأْي الصَّحِيح."[6]

ولعل تعريف الزرقاني (ت:1367ه)للإعجاز أدق وأشمل إذ يقول في مناهل العرفان:"إعجاز القرآن مركب إضافي معناه بحسب أصل اللغة إثبات القرآن عجز الخلق عن الإتيان بما تحداهم به فهو من إضافة المصدر لفاعله والمفعول وما تعلق بالفعل محذوف للعلم به والتقدير إعجاز القرآن خلق الله عن الإتيان بما تحداهم به"[7]

ب - شيء من تاريخ الإعجاز:[8]

- **تاريخ مصطلح إعجاز القرآن:**

من المتقرّر الآن أنّ إعجاز القرآن بوصفه مصطلحا متميزا؛ لم يكن معروفا في بيئة المتكلمين، إلا جزءًا من قضية النبوات؛ والتي كانوا يسمونها: دلائل النبوة، وحجج النبوة، وآيات النبوة.

ولم يذكر هذا المصطلح في القرءان ولا في حديث النبي ﷺ ولا في كلام الصحابة والتابعين، وكانت تستعمل كلمة(آية) مكان (المعجزة) و(الإعجاز)، وقد نشأ هذا المصطلح في نهاية القرن الثالث في بيئة المتكلمين الذين كانوا يدافعون عن القرآن الكريم ويردون أباطيل الملاحدة والزنادقة وأهل الزيغ والأهواء؛ إذ بدأت الأفكار الجديدة تتسلل إلى عقول المسلمين، على حين بدأ الإسلام ينشر لواءه على البلدان المفتوحة، فأقبل الحاقدون من المغلوبين على الدين الجديد؛ يدرسونه وينظرون فيه بعقولهم القديمة ونفوسهم السابقة، وفي ضوء من تراثهم الدّيني والفلسفي، كما أشار إلى ذلك ابن قتيبة رحمه الله(ت:276ه) بقوله :"وقد اعترض كتاب الله بالطعن

ملحدون، ولغوا فيه وهجروا، واتبعوا (ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله) بأفهام كليلة، وأبصارعليلة، ونظر مدخول، فحرّفوا الكلام عن مواضعه، وعدلوه عن سبيله، ثم قضوا عليه بالتناقض والاستحالة، واللَّحن وفسادالنَّظم والاختلاف، وأدلوا في ذلك بعلل؛ ربما أمالت الضَّعيف الغُمْرَ، والحدث الغرَّ، واعترضت بالشبه في القلوب ، وقدحت بالشكوك في الصدور".[9]

والذي يميل إليه العلاَّمة محمود شاكر رحمه الله(ت:1418هـ.1997م)، أن مصطلح الإعجاز كان ثمرة نظر طويل بين الجاحظ وبين شيخه النَّظَّام(ت:224ه)، وإن كان لم يجر على لسانه المصطلح بذاته، فإنه كان يدور في فلكه في كتبه المقررة في هذا الشأن؛ وهي(حجج النبوة، ونظم القرآن وسلامته من الزيادة والنقصان).

والأرجح أن يكون هو الذي مهّد إليه بما كان يتردّدُ عنده عند الكلام عن أسلوب القرآن وبلاغة نظمه من عبارات:(ولو تحدّيَ بها أبلغ العرب؛ لظهر عجزه عنها)، و (و لو لم يكن تحداهم في كل ما قلنا، وقرَّعهم بالعجز عمَّا وصفنا)، و(فتحدَّاهم بما كانوا لا يشكون أنهم يقدرون على أكثر منه، فلم يزل يقرّعهم بعجزهم)، فإن لفظ (التحدي)، المقرون بلفظ (العجز) في كلام الجاحظ، هو الذي أوحى إلى من بعده بمصطلح (الإعجاز) .[10]

ولعلَّ أول من استعمل مصطلح (الإعجاز) صراحة محمد بن يزيد الواسطي المعتزلي، وهو متوفًّى سنة 306هـ؛ فبينه وبين الجاحظ (255ه) إحدى وخمسون سنة فقط؛ ولا يمتنع أن يكون استثمر فيما اقترب إليه الجاحظ ولم يصرح به؛ فإنه كان أقرب شيء إلى أن يقول: إن القرآن أعجز العرب أن يأتوا بسورة من مثله؛ فيخرج له منه لفظ (إعجاز القرآن) أو (الإعجاز)، لكنه اكتفى بقوله: (يقرّعهم بعجزهم) وأشباهها من العبارات؛ فجاء الواسطيُّ (306ه) واستفاد من تلك المقدّمات، وسمَّى كتابه (إعجاز القرآن)، فهو أول من ألف في الإعجاز، وقد فقد هذا الكتاب في جملة ما فقد من كتب التراث.[11]

ومن الأدلة على أن أول استعمال لمصطلح الإعجاز كان بعد منتصف القرن الثالث الهجري، كتاب علي بن ربن الطبري (ت:247)(الدين والدولة في إثبات نبوة محمد ﷺ) الذي ألفه قبل منتصف القرن الثالث الهجري، ولم يستخدم كلمتي(إعجاز)و(معجزة)، مع أنه كان أحوج ما يكون لهذ المصطلح؛ لأنه بإزاء محاجَّة كفَّار معاندين، إذ كان علي بن ربن الطبري هذا نصرانيا شرح الله صدره للإسلام زمن الخليفة المتوكل، فأعلن إسلامه على يد الخليفة، وكان له عمٌّ نصراني متعصب اسمه يحي بن النعمان الطبري، فأنكر على ابن أخيه إسلامه، فقام بتأليف كتابه للرد على عمه وتلامذته، وهو من أوائل الكتب المؤلفة في مقرنة الأديان، والانتصار للإسلام والقرآن، وإثبات نبوة النبي ﷺ.

أقول رغم أنه كان في هذه الأجواء التي تجعل من استعمال كلمة (الإعجاز) أمرا منطقيا، وفي بيئة ملائمة، ولكنَّه استخدم مكانها كلمة (آية) التي كانت لا زالت رائجة ذائعة عند العلماء، وما ذلك – والله أعلم – إلا لأن مصطلح (الإعجاز) لم يظهر بعد.[12]

- **تاريخ التأليف في إعجاز القرآن:**

قسَّمَ أهل الشأن التأليف في إعجاز القرآن الكريم قسمين، عند القُدماء وعند المحدثين.

1- أمَّا عند القدماء: فقد مرَّهذا الطَّورُبثلاثة أدوار:

- **الأوَّل: دور الإشارات**؛ والمقصود به الزَّمنُ الذي لم تستقلَّ فيه قضيَّةُ الإعجاز بالتَّأليف المنفرد؛ بل كانت هناك إشارات إليها في بعض المصادر التي عُنيت على وجه الخصوص بمعاني القرآن وإعرابه... مما كان النواة الأولى لمن تكلم في بلاغة القرآن من بعدُ، ومن الكتب التي يمكن إدراجها في هذا الصنف:

- معاني القرآن للفراء رحمه الله (ت:207ه).

- مجاز القرآن لأبي عُبيدة رحمه الله (ت:209ه).

- كما لايمكن أن نغفل في هده الفترة، دور النظَّام (ت:224ه) شيخ الجاحظ في الإعتزال، ودور تلميذه الجاحظ(ت: 255ه) فإن لهما فضلا كبيرا في بلورة مصطلح الإعجاز، وإعداده للبروز....

- وننبه كذلك على مساهمات ابن قتيبة رحمه الله (ت:276) في هذا خاصة في كتبه المتعلقة بالقرآن الكريم؛ ك (تأويل مشكل القرآن) (تفسير غريب القرآن) وليس له كتاب مستقل في إعجاز القرآن الكريم إنما هي مبثوثة في كتبه من خلال شيئين: الردُّ على الملاحدة والشعوبيين ممن طعنوا في القرآن الكريم، وبيان بلاغة أساليب القرآن الكريم ....

- **الثاني : دور الرَّسائل** ؛ وهي الكتب صغيرة الحجم، أو ما يقابل (الأجزاء عند المحدثين (وهي المسائل التي تكتب في عشرين ورقة أو نحوها)، وهذا الدور بدأت تظهر فيه كتب متخصّصة في(الإعجاز) لكنَّها صغيرة الحجم وجيزة المضمون، ومن أشهررسائل هذه الفترة:

- النكت في إعجاز القرآن للرُّماني رحمه الله(384 ه)...وقد ذكرأن أوجه الإعجاز سبعة على الإجمال؛ أهمها الصَّرفة والبلاغةُ.

- بيان إعجاز القرآن للخطَّابيّ رحمه الله (388ه)، وخلاصة ما فيه قوله بالإعجاز البياني للقرآن، وسبق الجرجاني إلى الإشارة إلى قضية النَّظم، وتنبيهه على الإعجاز النفسي.

- **الثالث دور الكتب**؛ وهنا بدأت الكتب التخصُّصية طويلة النَّفس في قضية الإعجاز القرآني تظهر، ولعل قرنا من قرون التاريخ الهجري، لم يخل من تأليف في الإعجاز القرآني ومن ذلك :

- إعجاز القرآن للباقلاني (403ه).

- دلائل الإعجاز للجرجاني (471ه).

- الكشاف للزمخشري (538).

- نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز للرازي (606هـ).
- المُجيد في إعجاز القرآن المجيد للزَّمَلْكاني (651هـ).
- **2 أما عند المحدثين: فكثير أيضا، ولكن من أهم المؤلفات :**
- إعجاز القرآن والبلاغة النبوية للرافعي (1356هـ - 1937م).
- النَّبأ العظيم، لمحمد عبد الله دراز(1377هـ - 1958م).
- الإعجاز البياني في القرآن، لعائشة عبد الرحمن (1419هـ - 1998م).
- مداخل إعجاز القرآن، لمحمود شاكر(1418هـ -1997م).[13] رحم الله الجميع.

ثانيا: تجليات الإعجاز القرءاني ومظاهره في المباحث النحوية.

والناظر في كتب التفسير، وكتب إعراب القرآن، يلحظ كثرة اختلاف النحويين في إعراب الآيات القرآنية، ومردّ ذلك - والله أعلم - إلى أسلوب القرآن المعجز، فالبشر لا يستطيعون الإحاطة بكلِّ مراميه ومقاصده، فاحتمل كثيراً من المعاني، والوجوه التي نشأ عنها كمٌّ من الآراء والتخريجات النحوية.

يعدّ الإعجاز البياني من أهمّ وجوه الإعجاز في القرآن الكريم، ويظهر ذلك بأوجه كثيرة، منها: تطبيقات النحو والعلامات الإعرابية،

، ومن الأمثلة التي يظهر فيها الإعجاز البياني النحوي ما يأتي: قال الله -تعالى-: (وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ)[المائدة 6] حيث إنّ كلمة "وَأَرْجُلَكُمْ" جاءت منصوبة لا مجرورة مع العلم أنها معطوفة على مجرور، والأصل في الاسم المعطوف أن يكون تابعاً لما قبله، أي أن تكون اللام فيها مكسورة؛ ولكنها نصبت لتكون معطوفة على غسل الوجوه والأيدي؛ في قوله -تعالى-: (فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ). ومجيئها بعد كلمة "بِرُءُوسِكُمْ" لتكون معطوفة على مسح الرؤوس؛ حيث أن الأرجل يجوز فيها أحدُ أمرين: الغسل أو المسح على الخف والجورب، وكل ذلك بحركة إعرابية واحدة؛ تنبئك عن مدى إعجاز هذا القرآن.[14] قال الله -تعالى-: (وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا)[الفتح 10] "والعهد هذا الذي جاء به هو أثقل العهود هذه في بيعة الحديبية، هذه مبايعة حتى الموت، فلما أثقل العهود وهو البيعة على الموت جاء بأثقل الحركات وهي الضمة، هذه أثقل أنواع العهد أن تبايع على الموت فجاء بأثقل شيء وهي الضمة".[15]

ثالثا: تجليات الإعجاز القرآني ومظاهره في المباحث البلاغية .

الإعجاز البلاغي في القرآن الكريم مظهر جوهري من مظاهر إعجاز القرآن، و القرآن جاء بأسلوب يفوق قدرة البشر على الإتيان بمثله، وذلك من حيث فصاحته وبلاغته وجمال نظمه.

مظاهر الإعجاز البلاغي:

- **أسلوب القرآن ونظمه** : يتميز القرآن بنظم بديع خاص، لا يخضع لقواعد الشعر أو النثر المألوفة، فهو يجمع بين إيجاز اللفظ وغزارة المعنى، ويتميز بجمال التركيب وتناسق الكلمات والحروف.
- **المفردة القرآنية** :كل كلمة في القرآن جاءت في موضعها الصحيح، ولا يمكن استبدالها بغيرها دون الإخلال بالمعنى أو الجمال البلاغي، مما يدل على دقة الاختيار وعمق الدلالة.
- **الجملة القرآنية وصياغتها** :تتميز الجمل القرآنية بإحكام الصياغة وتكامل المعنى، مع قدرة فائقة على التأثير في المتلقي.
- **التصوير الفني** :يبرز القرآن الكريم مشاهد حسية ومعنوية بأسلوب فريد، يستخدم فيه التشبيهات والاستعارات والكنايات ببراعة فائقة.
- **الإيجازوالإطناب** :يستخدم القرآن الإيجاز المعجز الذي يختصر معاني كثيرة في ألفاظ قليلة، كما يستخدم الإطناب عند الحاجة لبيان وتوضيح المعاني.
- **النظم وفواصل الكلم** :تتميز فواصل الآيات القرآنية بتناسقها الصوتي والمعنوي، مما يضفي عليها جمالاً خاصاً وتأثيراً فريداً.
- **التناسق بين المعنى واللفظ** :يوجد ترابط وتوافق عجيب بين المعنى المراد واللفظ المستخدم، بحيث لا تصلح لفظة مكان أخرى.

أمثلة على الإعجاز البلاغي:

- قوله تعالى في قصة نوح عليه السلام:

□□ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □

□ □ □ □ SČĆ [44]

تظهر في هذه الآية عدة وجوه بلاغية كالمجاز، والإشارة، والإيجاز، وحسن النسق، وائتلاف اللفظ مع المعنى.

- مقارنة بين قول العرب: "القتل أنفى للقتل" وقول القرآن: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ﴾ [البقرة: 179]. فالقرآن أوجز وأبلغ وأعمق في الدلالة.
- دقة اختيار الألفاظ مثل استخدام "**حية**" و"**ثعبان**" في سياقات مختلفة لقصة موسى عليه السلام، فلكل كلمة دلالة خاصة بها.

يُعد الإعجاز البلاغي جوهر الإعجاز القرآني، وقد أجمع بلغاء العرب وفصحاؤهم على عجزهم عن الإتيان بمثل هذا الكلام، مما يؤكد أن القرآن الكريم هو كلام الله تعالى.

رابعا: نماذج من تجليات الإعجاز القرءاني ومظاهره في المباحث النحوية و البلاغية عند الفراء (المتوفى: 207هـ):

الفرّاء:

أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الأسلمي، المعروف بالفراء، الديلمي الكوفي مولى بن أسد، وقيل مولى بني منقر، كان أبرع الكوفيين وأعلمهم بالنحو واللغة وفنون الأدب؛ حكي عن أبي العباس ثعلب أنه قال: لولا الفراء لما كانت عربية، لأنه خلصها وضبطها، ولولا الفراء لسقطت العربية لأنها كانت تتنازع ويدعيها كل من أراد ويتكلم الناس فيها على مقادير عقولهم وقرائحهم فتذهب.

وأخذ النحو عن أبي الحسن الكسائي،.. وكانت ولادة الفرّاء بالكوفة سنة 144 هـ في عهد أبي جعفر المنصور. ونشأ بها وتربّى على شيوخها.. ويبين عن مبلغه في العلم قصة ثمامة بن الأشرس المعتزلي، فقد كان الفرّاء يتردّد على باب المأمون حتى لقيه ثمامة، وهنا يقول هذا الرجل عن الفرّاء:

«فرأيت أبّهة أديب، فجلست إليه ففاتشته عن اللغة فوجدته بحرا، وفاتشته عن النحو فشاهدته نسيج وحده، وعن الفقه فوجدته رجلا فقيها عارفا باختلاف القوم، وبالنحو ماهرا، وبالطب خبيرا، وبأيام العرب وأشعارها حاذقا. فقلت: من تكون؟ وما أظنك إلا الفرّاء، فقال: أنا هو. فدخلت فأعلمت أمير المؤمنين المأمون، فأمر بإحضاره، وكان سبب اتصاله به وكانت وفاة الفرّاء في طريقه في عودته من مكّة سنة 207 هـ، وعمره ثلاث وستون سنة، رحمه الله تعالى.[16]

إن المتأمل في كتاب معاني القرآن للفراء ليلحظ عليه غلبة النزعة النحوية ، وهذا أمر طبيعي بالنسبة لإمام النحويين في عصره بالكوفة، فتراه كثيرا مايقف مبينا الجانب التركيبي والنحوي للآية ، ولربما انتهى به الأم إلى ذكر القواعد النحوية مبينا تفاصيلها وأحكامها نحو فعله رحمه الله عند تفسيره للآية الكريمة من سورة الزمر الزمر [57]

قال : وقوله: وَيَوْمَ الْقِيامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُمْ مُسْوَدَّةٌ ترفع (وجوههم) و (مسودّة) لأنّ الفعل قد وقع عَلَى (الَّذِينَ) ثُمَّ جاء بعد (الذينَ) اسم لَهُ فعل فرفعته بفعله، وَكَانَ فِيهِ معنى نصب. وكذلك فافعل بكل اسم أوقعتَ عَلَيْهِ الظنّ والرأي وما أشبههما فارفع ما يأتي بعده من الأسماء إِذَا كَانَ معها أفاعيلها بعدها كقولك: رأيت عبد الله أمرُه مستقيم. فإن قدمت الاستقامة نصبتها، ورفعت الاسم، فقلت: رأيتُ عبد الله مستقيمًا أمرُه، ولو نصبت الثلاثة فِي المسألة الأولى عَلَى التكرير كَانَ جائزًا، فتقول: رأيتُ عبد الله أمرَهُ مستقيمًا. وقال عدي «2» ابن زيد.

ذرِيني إِن أمركِ لن يُطاعا ... وما ألفيتني حِلْمي مُضَاعا

فنصب الحلم والمضاع عَلَى التكرير. ومثله:

ما للجمال مشيها وئيدا

فخفض الجمال والمشي عَلَى التكرير. ولو قرأ قارئ (وُجُوهُهُمْ مُسْوَدَّةٌ) عَلى هَذَا لكان صوابًا.[17]

وما كان منه رحمه الله مع النحو والإعراب كان الأمر كذلك مع الصرف والقراءات ، ومع هذا كله لم تخل دراسته من الوقوف على الأساليب البيانية واالنكت البلاغية التي تعرض له عند تفسير الآيات القرآنية ، مع التنبيه إلى أن ذلك من أسلوب العرب في كلامها.[18]

و إن من صور تجليات الإعجاز البياني في القرآن الكريم :**التشبيه و الإستعارة .**

أولا :التشبيه :وهو من اول اصطلاحات علم البلاغة وقد أكثر الفراء من الوقوف عليه عند تفسير الأيات القرآنية ،وإن كان بعض الدارسين يرى أن التشبيه عند الفراء مقتصر على المعنى اللغوي لا البلاغي ،ومثاله

[37] ğ¬ Ì Ø□ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □

:قال الفراء :وقوله: فَإِذَا انْشَقَّتِ السَّماءُ فَكانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهانِ (الرحمان الآية 37) أراد بالوردة الغرس، الوردةُ تكون فِي الربيع وردة إلى الصفرة، فإذا اشتد البرد كانت وردة حمراء، فإذا كَانَ بعد ذَلِكَ كانت وردة إلى الغُبْرة، فشبه تلوّن السماء بتلون الوردة من الخيل، وشبهت الوردة فِي اختلاف ألوانها بالدهن واختلاف ألوانه.وَيُقَال: إن الدهان الأديم الأحمر.[19].

ففي هذا المثال التشبيه مركب من صورتين متعاقبتين صورة تلون السماء منفتحة وصورة الوردة في اختلاف الوانها مشبها لها باختلاف الوان الدهان.

ثانيا الاستعارة، وإن كان الفراء لم ينص عليها ولم يبين معناها البلاغي عند علماء البلاغة ولكنه حاول الإشارة إلى حقيقتها عند تعرضه لبعض الآيات القرآنية، نحو قوله تعالى:

[92] ÑH-BK□ □ □ □ □ □ □

قال الفراء : وقوله: وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ ...

فإنه أراد: حب العجل، ومثل هذا مما تحذفه العرب كثير قال الله:

«وَسْئَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيها وَالْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنا فِيها» «آية 82 سورة يوسف.» والمعنى سل أهل القرية وأهل العير وأنشدني المفضّل: حَسِبْتَ بُغَامَ راحِلَتي عَنَاقًا ... وما هِيَ وَيْبَ غيرك بالعناق

ومعناه: بغام عناق ومثله من كتاب اللَّه: «وَلكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ» معناه والله أعلم: ولكن البر برُّ من فعل هذه الأفاعيل التي وصف اللَّه. والعرب قد تقول: إذا سرك أن تنظر إلى السخاء فانظر إلى هرم أو إلى حاتم وأنشدني بعضهم:

يَقُولون جاهِدْ يا جَمِيلُ بغَزْوَةٍ ... وإنّ جهادا طيّء وقتالها

يجزىء ذكر الاسم من فعله إذا كان معروفا بسخاء أو شجاعة وأشباه ذلك.[20]

- شرح الصورة الإستعارية:

- المستعار: المشبه به (الإشراب).
- المستعار له: المشبه(التعلق والحب).
- الجامع: وجه الشبه (السريان والانتشار والتفشي).

تضمنت الآية استعارة تصريحية حيث حذف المشبه وهو حبهم وتعلقهم بالعجل ، وإلى هذا أشار الفراء بقوله : فإنه أراد: حب العجل، ومثل هذا مما تحذفه العرب كثير ،وصرح بالمشبه به وهو الإشراب والجامع بين المشبه والمشبه به وهو سرعة السريان والانتشار والتفشي، وهي استعرة محسوس لمعقول بجامع حسي.

- **المعاني المستفادة من التركيب اللغوي:**
- بناء الفعل للمجهول سمح بحذف الفاعل واتصال الضمير العائد على بني إسرائيل (المفعول به) بفعل الاشراب مباشرة أفاد معنى التخصيص والتهكم بهم ومنهم.
- تقديم شبه الجملة (في قلوبهم) على المفعول به الثاني (العجل) عضد معنى التخصيص.
- بعد ما بين الحق تبارك وتعالى حال بني إسرائيل وشخصها عن طريق الاستعارة والعلاقات التركيبية الخاصة عن طريق الانزياح الأسلوبي بين سبب هذه الحالة في قوله (بكفرهم) حتى نلحظ تآزرا وتلاحما بين المعنى البلاغي للاستعارة والمعاني التركيبية وهذا هو سر الإعجاز في الآية.

خاتمة:

- نشأت البلاغة وترعرعت في أحضان القرآن الكريم، كيف لا و هو كتابها الأكبر منه بدأت وإليه تعود؛ولذلك نعتقد أن عبد القاهر الجرجاني وإن مهّد سبيل البحث في نظم القرآن وذلَّلَهُ نظريا؛ فإنه لم يقدم د ا رسة بلاغية وافية لأسرار نظم القرآن؛ ودليل ذلك أن الناظر في كتابه دلائل الإعجاز لا يكاد يعثر إلا على آيات معدودات، وحتى الذين جاءوا من بعده لم يعمدوا إلى اختبار تلك النظرية تطبيقا على القرآن الكريم باستثناء محاولة الزمخشري؛ بل كان الاتجاه السائد يجنح إلى الإيغال في التنظير على حساب الممارسة والتطبيق والتذوق؛ فكانت النتيجة الحتمية أن فُصلت البلاغة عن معينها الأول، وصارت قوالب جاهزة وجافة، وذلك ما حدث مع السكاكي في مطلع القرن السابع الهجري، واستقّت علوم القرآن و التفسير ببحث الإعجاز واتسع خرق البلاغة على أبناء العربية، فلم يقدروا على ترقيعه حتى اليوم، ولله الأمر من قبل ومن بعد.
- تبقى الكلمة القرآنية متفردة بجلالها وإعجازها يعيى الفصحاء والعلماء أن يأتوا بكلمة من مثلها، تقوم مقامها فى موضعها وسياقها.

- القرآن -في هذا كله- نسيج واحد في بلاغته وسحر بيانه، إلا أنه متنوع تنوع موسيقى الوجود في أنغامه وألحانه!! فذلك هو القرآن: إن نطق لم ينطق إلا بالحق، وإن علَّم لم يعلِّم إلا الهدى والرشاد، وإن صور لم يصور إلا أجمل لوحات الحياة، وإن رتل ترتيلا لم يسمع بعده لحن في الوجود!.

ذلك كتاب الله المجيد .

هوامش وإحالات المقال

[1] الإعجاز اللغوي في القرآن الكريم ، مناهج جامعة المدينة العالمية،الناشر: جامعة المدينة العالمية (11-12).

[2] مختار الصحاح ، زين الدين الرازي (المتوفى: 666هـ)،ت:يوسف الشيخ محمد،المكتبة العصرية - الدار النموذجية، بيروت - صيدا الطبعة: الخامسة، 1420هـ / 1999م ص:200.

[3] معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس (المتوفى: 395هـ) ص: 232-233.

[4] ينظر العيد حذيق جهود أهل السنة والجماعة في الإعجاز اللغوي والبياني للقرآن الكريم، ص14-15.

[5] المناوي، التوقيف على مهمات التعاريف، ص75.

[6] الكفوي، الكليات، ص: 149.

[7] الزرقاني ، مناهل العرفان في علوم القرآن ج 2 ص 331.

[8] أخذت هذه المادّة من محاضرات في الإعجاز القرآني لأستاذي الدكتور العيد حذيق حفظه الله.

[9] ابن قتيبة، تأويل مشكل القرآن، ص 23.

[10] ينظر: محمود شاكر، مداخل الإعجاز، ص 23-26.

[11] ينظر: الرافعي، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، ص106،و محمود شاكر، مداخل الإعجاز، ص26.

[12] ينظر: نعيم الحمصي، فكرة الإعجاز من البعثة إلى العصر الحاضر، ص7 والخالدي، إعجاز القرآن البياني، ص 81-82.

[13] ينظر: الرافعي، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية،ص 105 وما بعدها، وفضل عباس، إعجاز القرآن الكريم، ص 37.

[14] جلال الدين السيوطي، معترك الأقران في إعجاز القرآن ص 127.

[15] روائع البيان القرآني ص

[16]وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان،أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان البرمكي الإربلي (المتوفى: 681هـ)،ت إحسان عباس،دار صادر – بيروت،ج 6 ، ص 176-181.

[17]معاني القرآن، أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي الفراء (المتوفى: 207هـ)، ت: أحمد يوسف النجاتي ، محمد علي النجار،عبد الفتاح إسماعيل الشلبي، الناشر: دار المصرية للتأليف والترجمة – مصر،الطبعة: الأولى، ص 423-424،ج2.

[18]أنظر:أثر القرآن في تطوير النقد العربي إلى آخر القرن الرابع الهجري ، محمد زغلول سلام ، مكتبة الشباب، ط 1، ص 53-54

[19] - معاني القرآن، أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي الفراء (المتوفى: 207هـ)، ت: أحمد يوسف النجاتي ، محمد علي النجار،عبد الفتاح إسماعيل الشلبي، الناشر: دار المصرية للتأليف والترجمة – مصر،الطبعة: الأولى، ص 117،ج 3.

[20] - معاني القرآن، أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي الفراء (المتوفى: 207هـ)، ت: أحمد يوسف النجاتي ، محمد علي النجار،عبد الفتاح إسماعيل الشلبي، الناشر: دار المصرية للتأليف والترجمة – مصر،الطبعة: الأولى، ص 61-62،ج 1.

المصادر والمراجع:

1. معاني القرآن، أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي الفراء (المتوفى: 207هـ)، ت: أحمد يوسف النجاتي ، محمد علي النجار،عبد الفتاح إسماعيل الشلبي، الناشر: دار المصرية للتأليف والترجمة – مصر،الطبعة: الأولى
2. الإعجاز اللغوي في القرآن الكريم ، مناهج جامعة المدينة العالمية،الناشر: جامعة المدينة العالمية (11-12).
3. مختار الصحاح ، زين الدين الرازي (المتوفى: 666هـ)،ت:يوسف الشيخ محمد،المكتبة العصرية - الدار النموذجية، بيروت - صيدا
4. معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس (المتوفى: 395هـ) .
5. جهود أهل السنة والجماعة في الإعجاز اللغوي والبياني للقرآن الكريم، العيد حذيق.
6. المناوي، التوقيف على مهمات التعاريف.

7. الكفوي، الكليات.
8. الزرقاني ، مناهل العرفان في علوم القرآن .
9. إعجاز القرآن والبلاغة النبوية للرافعي (1356هـ - 1937م).
10. النَّبأ العظيم، لمحمد عبد الله دراز(1377هـ - 1958م).
11. الإعجاز البياني في القرآن، لعائشة عبد الرحمن (1419هـ - 1998م).
12. مداخل إعجاز القرآن، لمحمود شاكر(1418هـ -1997م).
13. أثر القرأن في تطوير النقد العربي إلى آخر القرن الرابع الهجري ، محمد زغلول سلام ، مكتبة الشباب، ط 1.
14. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان،أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان البرمكي الإربلي (المتوفى: 681هـ)،ت إحسان عباس،دار صادر – بيروت.